امام استفزاز واغتصاب مباشرين · وهـذا يعنـي ان النص الاول يرسم سيرورة **الوعـي السياسي** ، أما الثاني فيرسم سيرورة **الوعي الاخلاقي** · والوعي الاول يدفع الانسان الى ممارسة هي جزء من كل (الاخرون") ، أما الوعي الثاني فهو دفاع عن الذات والانا وليس دفاعا عن قضية جماعية ، بمعنى آخر : ان ابو جابر يقبل الاحتلال على شرط ان لا يمس ذاتيته او يتعرض لقيمه الاخلاقية · يضاف الى ذلك ان « الاضافة ـ البرهان » تلغـي **التطور المادي** للشخصية الفنية : فالقصة بجسمها الاساسي ترسم انتقال « الانسان » الى مرتبة « الفرد » ، تنقله من الاخلاق الى السياسة ، من الاحتجاج الى الحركة ، اي تحكي مساره التناقضي الذي يرفعه من مرتبة الى اخرى اكثر ارتقاء · أما « النص الثاني » فيلغي التطور التناقضي ليحل مكانه تطورا خطيا يجعل الشخصية تكرر ذاتها في دائرية اخلاقية · ويتجلى الامر واضحا عندما نقارب قصة « ابو جابر الخليلي » من وجهة نظر الزمن الحكائي :

يتطور النص الاول محكوما بزمنه الداخلي الذي يجعل موقف « الشخصية » في لحظة ما من مسارها محصلة لتراكم لحظات سابقة ، أما النص الثاني فيتطور وفق زمن خارجي خاص به منعزل عن الزمن الاول ، فحركة الشخصية فيه لا تأتي كمحصلة لازمنة سابقة بل كموقف آني ورد فعل مباشر مستقل بذاته ·

ان عدم الوحدة الايديولوجية في مستويات قصة « ابو جابر الخليلي » جعل هذا العمل الغني والاصيل يفقد « شيئا » من أدبيته ·

البهلول

في قصة « البهلول » · يحكي توفيق فياض يوميات انسان منبوذ ، انسان هامشي في مخيم فلسطيني ، « بهلول » يعيش عالمه ويبني عالما هامشيا ، ويتحرك معاكسا تيار الحياة اليومية ، فيكسر العرف ويتجاوز القانون ويبقى على قارعة الطريق وهوامش الحديث · لكن هامشية حياته لا تشده الى الظل والنسيان فهو في قلب الساحة وأمام مرأى البصر ، بل يمكن ان نقول ان شكل هذه الهامشية وسياقها التاريخي يلغي هذه الهامشية نفسها ويجعلها حضورا مستمرا بحيث تصبح الهاماشية علامة حضور لا مؤشر غياب وانكفاء ، فالبله تميز وتأكيد الذات سلبا محاولة لتأكيد هذه الذات · والانسان الابله او البهلول رمز التداول في الادب العربي والافريقي وفي ادب العام الثالث » بشكل عام · فالبله لعبة واعية يولدها واقع سلبي ، لعبة صاحية تأتي من واقع معين ثم تعود اليه من جديد بعد ان تكتشف اللغة الموائمة للتعامل معه ، فهي والحالة هذه اشارة رفض واحتجاج وتلاؤم · فشخصية « البهلول » ترفض الواقع وترفض العقل لان الشرط الذي تعيشه يرفض العقل أيضا ، فممارستها « البلهاء » استداره عقلانية تسمح لها بالقطع مع ما هو عادي ومتعارف عليه وتمنحها سلوكا جديدا ذا لغة متميزة ورموزا متميزة أيضا ·

أمام عالم لا يساوق منطق العقل يفقد الانسان عقله ويرفض العالم كي يعود فيبني لنفسه عالما آخر موازيا وعقلانيا ، اي ان تزايل الذاتية الظاهري هو محاولة لصيانة هذه الذاتية وتأكيدها وتحصينها · لهذا فان « بهلول » توفيق فياض ذات تؤكد ذاتها نفيا في عالم يتسم بالسلبية ومجافاة العقل ، وتدافع عن هويتها الانسانية والوطنية في شرط يحاول خنق هذه الهوية الثنائية البعد : ـ « تفح التنهدات اليائسة من ياقات المنامات المخططة · تشتعل السجائر ، واكواب الشاي الدبسي تتقافز نحو الشفاه المزمومة ، ثم تعود الى